نظرية العوامل المحددة للشخصية عند ريموند كاتل

(Raymond Cattell's Factor-Analytic Theory of Personality).

- **الهدف العام:** فهم الاتجاه العاملي (السماتي) في دراسة الشخصية، وتطبيقاته الإحصائية والإكلينيكية عند ريموند كاتل.

المحور الأول: تمهيد وسياق تاريخي

- **من هو ريموند كاتل (1905 – 1998)؟** عالم نفس بريطاني-أمريكي، ينتمي إلى التيار التجريبي الكمي. يُعد من أبرز أصحاب **"اتجاه السمات"** (Trait Theory).
- **الفكرة المحورية لنظريته:** يرى كاتل أن الشخصية ليست مجرد انطباعات كلاسيكية، بل يمكن التنبؤ بها وفهمها بدقة متناهية عبر استخدام **الأساليب الإحصائية والرياضية المعقدة**، وتحديداً تقنية **"التحليل العاملي" (Factor Analysis)**.
- **تعريف الشخصية عند كاتل:**

"الشخصية هي ما يسمح لنا بالتنبؤ بما سيفعله الفرد في موقف معين."
وتتحدد عبر المعادلة البسيطة: $R = f(P, S)$ *حيث* (R) *هو الاستجابة،* (P) *قدرات/ سمات الشخصية، و* (S) *الموقف البيئي.*

من خلال هذه المعادلة نقل علم نفس الشخصية من مجرد وصف كيفي إلى **تنبؤ علمي دقيق**.

ويمكن قراءتها كالتالي" :**الاستجابة (R) هي دالة (f) أو نتيجة (وظيفة) لتفاعل الشخصية (P) مع الموقف البيئي الراهن".(S)**
رفض الحتمية المطلقة (لا لسيطرة البيئة وحدها ولا الشخصية وحدها)

مثال توضيحي: تخيل أننا وضعنا **شخصين مختلفين تماماً** P1و P2**في نفس الموقف تماماً** Sوهو "الوقوع في أزمة مالية مفاجئة"

- **الشخص الأول :(P_1)** يتمتع باستقرار انفعالي عالٍ وسمة "قوة الأنا" مرتفعة.
- **الشخص الثاني :(P_2)** يعاني من قلق مرتفع وضعف في التكيف.

النتيجة :(R) استجابة الأول ستكون هادئة ومخططة لحل المشكلة، بينما استجابة الثاني ستكون بالهلع والاضطراب.

السبب: رغم ثبات الموقفS إلا أن اختلاف التركيبة الداخلية للشخصيةP أدى إلى اختلاف تام في الاستجابةR

المحور الثاني : مصادر البيانات الشخصية عند كاتل (أنواع المعطيات)

لجمع معلومات شاملة عن الفرد ودراسة شخصيته، اعتمد كاتل على **3 مصادر رئيسية للبيانات** (تُعرف بـ LOTS/CATTELL DATA):

1. **بيانات السجل الحياتي (L-Data - Life Record Data):** هي ملاحظات وتقييمات لسلوك الفرد في حياته اليومية الفعلية (مثل: التقديرات المدرسية، السجل الوظيفي، تقييم الأصدقاء أو الملاحظين).
2. **بيانات الاستبيانات والأحكام الذاتية (Q-Data - Questionnaire Data):** هي المعلومات التي يدلي بها الفرد عن نفسه عبر الإجابة عن اختبارات مقننة ومقاييس التقدير الذاتي.
3. **بيانات الاختبارات الموضوعية (T-Data - Objective Test Data):** هي مواقف واختبارات معملية غير مباشرة لا يعرف المبحوث هدفها الحقيقي، مما يمنعه من التزييف أو التظاهر (مثل: أجهزة قياس زمن الرجع، استجابة الجلد الجلفانية).

المحور الثالث: تصنيف السمات عند ريموند كاتل

تُعد **السمة (Trait)** الوحدة الأساسية لبناء الشخصية عند كاتل. وقام بتقسيم السمات وفق عدة أبعاد:

1. من حيث المظهر التجريبي (السطحية مقابل المصدرية):

- **السمات السطحية (Surface Traits):** هي مجموعة من السلوكيات الظاهرة التي تتجمع وتظهر معاً، لكنها لا تعكس دائماً سبباً واحداً عميقاً (مثل: الود، اللباقة، والابتسامة قد تظهر معاً كسمة سطحية للطف).
- **السمات المصدرية (Source Traits):** هي العوامل الحقيقية والعميقة التي تفسر وتسبب السلوكيات الظاهرة. تُكتشف عبر التحليل العاملي فقط، وهي أصل البناء المكون للشخصية (مثل: الانبساطية، رزانة الأنا).

2. من حيث النشوء والأصل:

- **سمات تكوينية/وراثية (Constitutional Traits):** تنشأ من العوامل البيولوجية والوراثية.
- **سمات صاغتها البيئة (Environmental-Mold Traits):** تتشكل نتيجة التنشئة الاجتماعية والتأثيرات الثقافية.

3. من حيث الوظيفة والطبيعة:

- **سمات القدرة (Ability Traits):** تحدد مدى كفاءة الفرد في الوصول إلى هدف معين (مثل: الذكاء).
- **سمات المزاج (Temperament Traits):** تحدد الشدة أو الأسلوب الظاهر في السلوك (مثل: السرعة، الانفعالية، الهدوء).
- **السمات الدافعية/الدينامية (Dynamic Traits):** تتعلق بالدوافع والمحركات ودوافع السلوك.

المحور الرابع: البناء الدينامي (الدوافع) عند كاتل

قسم كاتل السمات الدينامية التي تحرك سلوك الإنسان إلى قسمين رئيسيين:

1. **النزعات الفطرية (Ergs):** هي دوافع وغرائز بيولوجية وراثية توجه السلوك نحو أهداف محددة (مثل: الخوف، الجنس، الجوع، حب الاستطلاع).
2. **المشاعر المصنوعة/الصيغ الوجدانية (Sentiments):** هي اتجاهات ودوافع متعلمة من البيئة وتتشكل حول موضوعات اجتماعية رئيسية (مثل: الشعور نحو الأسرة، الدين، الوطن، أهداف المهنة).

ملاحظة بيداغوجية: وضح كاتل العلاقات بين هذه السمات فيما يسمى **"شبكة الأسباب والنتائج" (Dynamic Lattice)**، حيث تخدم الاتجاهات المتعلمة المشاعر، وتخدم المشاعر بدورها النزعات الفطرية (Ergs).

المحور الخامس: الذكاء المتبلور والذكاء السيّال (Cattell's Intelligence Model) محور إضافي للمحاضرة

من أهم إسهامات كاتل تمييزه بين نوعين من الذكاء العام:

- **الذكاء السيّال (Fluid Intelligence - Gf):**
  - القدرة الفطرية على التفكير المجرد، حل المشكلات الجديدة، وسرعة معالجة المعلومات.
  - غير مرتبط بالتعليم أو الثقافة، يصل لذروته في مقتبل الشباب ثم يتراجع تدريجياً مع تقدم العمر.
- **الذكاء المتبلور (Crystallized Intelligence - Gc):**
  - حصيلة المعارف والمهارات والخبرات المكتسبة من خلال التعليم والتنشئة الثقافية.
  - ينمو ويتزايد مع استمرار التعلم والتجارب مدى الحياة.

المحور السادس: قائمة العوامل الـ 16 للشخصية ومقياس PF16

عبر تطبيق التحليل العاملي المكثف على بيانات (L-Data) و(Q-Data)، استخرج كاتل **16 سمة مصدرية أساسية** تشكل نواة الشخصية الإنسانية، وتتراوح كل سمة بين قطبين متضادين.

أبرز العوامل الـ 16 (مقياس PF16):

- **العامل A:** الانطواء مقابل الانبساط والود.
- **العامل B:** الذكاء المنخفض مقابل الذكاء المرتفع.
- **العامل C:** عدم الاستقرار الانفعالي مقابل قوة الأنا والتوازن الانفعالي.
- **العامل E:** الخضوع والامتثال مقابل السيطرة والتأكيد.
- **العامل F:** الجدية والتحفظ مقابل الانشراح والتلقائية.
- **العامل G:** النفعية/ضعف الضمير مقابل قوة الأنا الأعلى/التزام الواجب.
- **العامل H:** الخجل والاحتراس مقابل الجرأة الاجتماعية.

- *(بالإضافة إلى العوامل الأخرى مثل: الحساسية، الشك، التخيل، الدهاء، القلق، والانضباط الذاتي).*

تقييم النظرية (النقد والتقدير)

إيجابيات النظرية (مواطن القوة):

- **الصرامة العلمية:** نقل دراسة الشخصية من الانطباعات والتفسيرات التأويلية إلى الدقة الرياضية والقياس المباشر.
- **التطبيق العملي:** مقياس PF16 يُعد من أكثر المقاييس استخداماً حتى اليوم في التوجيه المهني، والتشخيص الإكلينيكي، وتحديد الكفاءات في المؤسسات.
- **النظرة الشاملة:** وازن بين التأثيرات الوراثية والتأثيرات البيئية من خلال أساليبه الإحصائية المتطورة.

السلبيات والانتقادات:

- **التعقيد الإحصائي الزائد:** وُجهت للنظرية انتقادات بكونها تعتمد كلياً على الرياضيات مما قد يُفقد السلوك الإنساني ببعده الإنساني والذاتي.
- **صعوبة التكرار:** واجه بعض الباحثين صعوبة في إعادة إنتاج نواتج التحليل العاملي الـ16 بدقة تامة باستخدام نفس بيانات كاتل، مما أدى لاحقاً لظهور نظرية العوامل الخمسة الكبرى (Big Five).